مزامير الجحيم
الكاتب:
أحمد إبراهيم الحواتمة

تحت إشراف فريق غُبراء الأدب

إدارة:

رهف محمد العليمات

التوقيع

الإهداء
إلى تلك الأجساد الحية التي
غادرتها الأرواح

المقدمة

"لعنة القدر"

في زاويةٍ مظلمة من هذا العالم، حيث تختلط أنفاس العاشقين بأنين الذكريات، تكمن قصةٌ لن تخرج منها كما دخلت...

كانت عيناها أول خطيئةٍ له. تلك النظرة التي التقت به في زحام السوق القديم، كأنها قدرٌ ينتظر ساعة الصفر. لم يكن يعلم أن هذه اللحظة ستكون بداية نهايته. كيف لرجلٍ صلبٍ مثله أن يتحول إلى كائنٍ يعيش على شفا الهاوية؟ كيف لقلبٍ واحدٍ أن يحمل كل هذا الحب... وكل هذا الكره؟

ستعيش معه تلك اللحظات التي تتحول فيها القصائد إلى طقوس جنون، والليالي إلى سجون لا تهرب منها. ستسمع صراخ روحه وهو يحاول أن يمسك بأشباح الماضي، بينما الحاضر ينهش لحمه كذئبٍ جائع. وستشهد اللحظة التي يقرر فيها أن يحرق العالم لأن قلبه احترق أولاً...

لكن احذر، فكل كلمة هنا هي قطرة من سمٍّ بطيء. كل مشهد سيدفعك لتساؤل: "إلى أي حد يمكن أن يذهب الإنسان حين يُسلب منه كل شيء؟" هل ستعطف عليه عندما تكتشف كم كان مجروحاً؟ أم سترتعد خوفاً عندما ترى ما فعله بمن جرحوه؟

هذه ليست مجرد قصة... إنها مرآة قد تُريك الجانب الذي لم تكن تعرفه في نفسك. فهل أنت مستعدٌ لمواجهة هذا الظل؟

تذكّر جيداً: بعض اللقاءات لا تُنسى... وبعضها لا يُغتفر.

تحذير اخير
هذه الرواية ليست للضعفاء. إنها مرآةٌ تُريك أقبح ما في الحب وأجمل ما في الكراهية.
إذا كنتَ مستعداً لسماع همسات القلب عندما يتحطم، فابدأ القراءة الآن...

لكن تذكّر:
"بعض الكلمات-مثل بعض الأقدار- لا يُمكن محوها".

الفصل الأول

لقاء القدر

في مدينةٍ تتنفس التاريخ وتُغني بألحان الحضارات القديمة، حيث تلتقي الروح بالتراب، وتتلاشى الحدود بين الواقع والخيال، كان يعيش "تيم"، رجلٌ في الخامسة والثلاثين من عمره، يحمل في قلبه بركانًا خامدًا من المشاعر. كان تيم رجلًا صلبًا، يبدو للعالم كجلمودٍ لا يهتز، لكن في داخله بحرٌ هائج من الأحلام والأسى. كان يعيش حياةً رتيبة، يمرّ فيها الزمن كساعاتٍ لا تنتهي، حتى ذلك اليوم الذي غيّر مصيره.

في أحد الأيام، بين زحام السوق القديم، حيث تتشابك الروائح العطرة مع أصوات الباعة، رأى "نور" لأول مرة. كانت تسير بخطواتٍ واثقة، كأنها تحمل سرًّا لا يعرفه أحد. شعر تيم وكأن الزمن توقف، وكأن كل شيء حوله تلاشى إلا هي. كانت نور كأنها خرجت من لوحةٍ قديمة، تجمع بين جمال الحوريات ووقار الملكات. شعر وكأن قلبه، الذي كان ينبض بصمتٍ كبركانٍ خامد، قد استيقظ فجأةً من سباته الطويل.

الشوق والانتظار

منذ ذلك اليوم، أصبحت نور شغف تيم الوحيد. كان يراها في كل شيء: في زهرة تتمايل مع الريح، في قمرٍ يطلّ من بين السحاب، حتى في فنجان قهوته الصباحي. كان يحاول أن يقترب منها، لكنه كان يشعر بالخوف والرهبة. كيف له، الرجل الصلب الذي لا يعرف الخضوع، أن يخضع لسحر امرأة؟

بدأ تيم يكتب قصائدَ غزلٍ لها، يعبر فيها عن مشاعره التي لا يستطيع قولها. كانت كلماته نابعةً من أعماق قلبه، مليئةً بالشوق والألم. كان يرى في نور كل شيء: الحلم الذي طالما انتظره، والنور الذي يضيء ظلام حياته. لكنه كان يعلم في قرارة نفسه أنها بعيدةٌ عنه، كأنها نجمٌ في سماءٍ لا يستطيع لمسها.

اللقاء المحرم

بعد شهور من الانتظار والصمت، قرر تيم أن يعبر عن مشاعره لنور. كان اللقاء في حديقةٍ قديمة، حيث تتشابك الأشجار كأنها تحمي سرًّا قديمًا. نظر إليها بعينين مليئتين بالشوق وقال: "نور، أنتِ النور الذي أضاء ظلام حياتي. أنتِ الحلم الذي طالما انتظرته."

لكن نور، التي كانت تعلم بمشاعره، نظرت إليه بعينين حزينتين وقالت: "تيم، أنت رجلٌ رائع، لكن قلبي ليس حرًّا. لقد قررت الارتباط بشخصٍ آخر."

كانت الكلمات كالسكين تغرز في قلبه. شعر وكأن الأرض تزلزلت تحت قدميه، وكأن كل أحلامه قد تحطمت في لحظةٍ واحدة. حاول أن يبتسم، لكن الدموع كانت تملأ عينيه. قال لها: "نور، سأبقى أحبك حتى لو كان الحب جريمة."

بعد ذلك اللقاء، عاد تيم إلى حياته القديمة، لكنه لم يعد كما كان. كان يحمل في قلبه جرحًا لا يندمل، لكنه تعلم أن الحياة تستمر. كان يرى نور أحيانًا من بعيد، تسير بخطواتها الواثقة، كأنها لم تتأثر بما حدث. لكنه كان يعلم أنها تحمل في قلبها أسرارًا لا يعرفها أحد.

في إحدى الليالي، بينما كان يجلس وحيدًا في شقته، كتب آخر قصائده لها:

"نور، أنتِ النور الذي أضاء حياتي،
وأنتِ الظلام الذي أطفأ قلبي.
سأبقى أحبك حتى لو كان الحب جريمة،
حتى لو كان القدر يعاندنا."

الفصل الثاني

جراح الليالي الطويلة

مرت السنوات كسحبٍ ثقيلة تزحف فوق سماءٍ ملبدة بالغيوم، تاركةً خلفها ذكرياتٍ كالرماد، لا تُطفئ نارها الرياح، ولا تُخمدها الأمطار. تيم، الرجل الذي كان يُشبه جبلًا شامخًا في صلابته، أصبح الآن كشجرةٍ عتيقة، جذورها ممزقة، وأغصانها تئن تحت وطأة الرياح. كان يعيش في شقته الصغيرة، محاطًا بظلال الماضي التي لا تفارقه. على جدار غرفته، كانت صورة قديمة معلقة، صورة لنور في يومٍ مشمسٍ من أيام الماضي. كان ينظر إليها كل ليلة، وكأنها تذكّره بكل شيء جميل في حياته، وبكل شيء ألمّ به. كانت عيناها في الصورة تُشعان كنجمين في ليلةٍ مظلمة، لكنهما الآن، في قلبه، كشعلتين تحرقان روحه.

كان تيم رجلًا صلبًا في الظاهر، لكن في داخله، كان يحمل قلبًا مكسورًا، قلبًا لم يعد يعرف كيف يثق، أو كيف يحب مرة أخرى. كان يعيش في عالمٍ من الصمت، كأنه سجينٌ في قلعةٍ من الزجاج، يرى العالم من حوله، لكنه لا يستطيع لمسه. كان يكتب قصائدَ حزينةً في الليل، يعبر فيها عن ألمه الذي لا يُوصف. كانت كلماته كالدماء تسيل على الورق، كل حرفٍ يُعبّر عن جرحٍ لا يندمل.

نور تعود

في المقابل، كانت نور تعيش في دوامة من الندم. بعد انفصالها عن حبيبها الأول، الذي تركها بجراحٍ عميقة، بدأت تتذكر تيم. تتذكر نظراته الحانية، وكلماته التي كانت تلامس روحها. كانت تعلم أنها أخطأت عندما رفضت حبه في الماضي، لكنها كانت تأمل في أن تعيد ما فات. كانت تعلم أن جرحها له كان عميقًا، لكنها كانت تأمل في أن تجد طريقةً لعلاجه.

بدأت نور تبحث عن تيم، تريد أن تعيد ذلك الشعور الذي فقدته. بعد بحث طويل، عرفت مكانه، وبدأت تصطنع المواقف والصدف لتقترب منه مرة أخرى. كانت تظهر في الأماكن التي يعرفها، تبتسم له من بعيد، تحاول أن تفتح حديثًا، لكن تيم كان دائمًا ما يبتعد. لم يكن يكرهها، بل كان يخاف. خائف من أن يعود الألم، خائف من أن يجرح مرة أخرى. جرحه ما زال طريًا، لم يشفَ بعد.

اللقاء الذي هزّ السماء

في ليلةٍ من ليالي الخريف، حيث القمر معلقٌ كشمعةٍ في سماءٍ سوداء، خرج تيم من شقته التي كانت تشبه قفصًا من الذكريات. كان الهواء باردًا، والرياح تعزف لحنًا حزينًا على أوتار الأشجار العتيقة. لم يكن يعلم إلى أين يتجه، لكن قدميه قادتاه إلى حديقةٍ قديمة، حيث كانا يلتقيان في الماضي. كانت الحديقة الآن خالية، إلا من ظلال الأشجار التي كانت ترقص مع الرياح.

وفجأة، كأن القدر أراد أن يلعب لعبةً قاسية، ظهرت نور من بين الظلال. كانت تسير بخطواتٍ خفيفة، كأنها شبحٌ من ماضٍ بعيد. شعر تيم وكأن قلبه توقف عن النبض، وكأن الزمن توقف عند هذه اللحظة. كانت نور ترتدي فستانًا أبيض، يلمع تحت ضوء القمر، وكأنها ملاكٌ نزل من السماء. شعر تيم بالشوق يملأ قلبه، وكأن كل الذكريات الجميلة عادت إليه في لمحةٍ واحدة.

بدأت تقترب منه، خطوةً بعد خطوة، وكأنها تعلم أنه لن يهرب هذه المرة. نظرت إليه بعينين مليئتين بالحزن والأمل، وقالت بصوتٍ ناعم كالنسيم: "تيم، لقد اشتقتُ إليك." كانت كلماتها كالسحر، تلامس قلبه الذي كان يحاول أن يبقى صلبًا. شعر وكأنه يريد أن يقترب منها، أن يضمها إلى صدره، أن يشعر بدفئها مرة أخرى.

صراع الروح

لكن فجأة، كأن سكينًا غرز في قلبه، تذكر كل ما مضى. تذكر اليوم الذي رفضت فيه حبه، تذكر نظراتها الباردة، وكلماتها التي كانت كالسيف تقطع قلبه. تذكر كيف تركته وحيدًا في الظلام، وكيف عاش سنواتٍ من الألم والوحدة. شعر وكأن جرحه القديم قد انفتح مرة أخرى، وكأن الدماء تسيل من قلبه.

نظر إليها بعينين مليئتين بالألم، وقال بصوتٍ مكسور: "نور، كيف لي أن أثق بك مرة أخرى؟ كيف لي أن أعلم أنكِ لن تتركيني في الظلام؟" كانت كلماته كالصرخة التي تخرج من أعماق الروح، تعبر عن كل الألم الذي كان يحمله في قلبه.

نظرت نور إليه، دموعها تنساب على خديها، وقالت: "تيم، أعلم أنني أخطأت، أعلم أنني جرحتك، لكنني تعلمت من أخطائي. أنا هنا الآن، أريد أن أعيد ما فقدناه." كانت كلماتها مليئة بالندم، لكن تيم كان يعلم أن الجرح ما زال طريًا، وأنه لا يستطيع أن يثق بها مرة أخرى.

ليس الان
صمت للحظة، ثم ابتعد عنها، تاركًا إياها واقفةً في مكانها، تنتظر إجابةً لن تأتي. كانت الرياح تعزف لحنًا حزينًا، وكأنها تعزف موسيقى لقلبين مكسورين. هل سيعود تيم إلى نور؟ هل سيتمكنان من تجاوز جراح الماضي معًا؟ أم أن الألم سيفصل بينهما للأبد؟

الفصل الثالث

"مولد الشيطان: سيمفونية الانتقام"

الفصل الأول
زهرة الذبول
بعد عام من العذاب الصامت، حينما تفتحت شقوق القلب كزهرة مسمومة تحت شتاء قاس، قرر تيم ذلك الشاب الذي كان يومًا يحمل وجهًا بشريًا - أن يغفر. مضى إلى "نوربحب يشبه احتضار العاجز، فوجدها تنتظره كشجرة ظمأى تترقب المطر الأخير. تزوجا في احتفال بسيط، حضره القليلون كأنهم شهود على نعش. ثم انطلقا إلى المزرعة، حيث اعتقدا أن السعادة قد تختبئ بين أشجار التفاح العتيقة.

لكن القدر كان يدس أنيابه في الظل.

ذات مساء، بينما كانت نور تركب حصانها الأبيض - ذلك الحصان الذي أهداها إياه قبل زواجهما - انزلقت بحذائها المزركش بالدمى الصغيرة، وسقطت كطائر رصاصة. اندفع تيم حاملاً جسدها النازف، صارخًا في القفر: "أنقذوها!" لكن الطبيب العجوز في المدينة - ذاك الذي كانت عيناه تشبهان قطعتين نحاسيتين بلا روح - أصر على أن يخبر زوجته أولاً!

عندما عادا، كانت نور قد تحولت إلى دمية شمعية باردة. نظر الطبيب إلى تيم وقال مبتسمًا:
"لا تبكِ... النساء كالأزهار، تذبل واحدة وتتفتح أخرى."

في تلك اللحظة، سمع تيم صوتًا كأنه انكسار زجاج الكون في رأسه. انقض على الطبيب، وخنقه بحبل كان يلحول معصمه كتميمة. ثم أخرج سكينه الصغيرة - تلك التي كان يقطع بها التفاح لنور - وغرزها في عينيه. الدم سال على الأرض كخيط أسود سميك.

صاح في الريح:
"هذه هي الحياة؟ إذن فلتكن الجحيم!"

الفصل الثاني

ذئب بلا غابة

أشعل النار في المزرعة، واحتضن جثة نور بين ذراعيه حتى التصقت جلودهم بالحمم. ثم انطلق إلى الغابة، حيث أصبح ظلاً يأكل من جذور الأشجار الميتة.

في ليلة مقمرة، سمع ضحكات. رأى عاشقين تحت شجرة بلوط، يتبادلان الهمسات كفراشات سكرى. اقترب منهم كضباب، ثم طعن الرجل في ظهره سبعة عشر طعنة - بعدد الأشهر التي عاشها مع نورا. الفتاة صرخت، فغطى فمها بكف ملطخ بالوحل:
"اصمتي... سأجعلكِ أغنية حزينة تتردد في أذن الله."
قطع رأسها بضربة واحدة، ثم شوى قلبيهما على نار صغيرة، وأكلهما ببطء، بينما كانت الذئاب تنظر إليه من بعيد خائفة.

الفصل الثالث
الدم ينزف في بيت الزهور

في المدينة، تنكر كمتسول. عجوز أعمى وزوجته الشمطاء آوياه إلى محلهما الصغير لبيع الأزهار. عمل هناك أيامًا، يرتب الورود بينما يخطط لكيفية تقطيع جسديهما.

في اليوم الثامن، دخل غرفتهما ليلاً. ربط العجوز إلى سريره، ثم أجلس الزوجة أمامه. قال لها:
"أريدك أن ترين ما سأفعله به... لأن الله يجب أن يرى عبر عينيك."
ذبحها ببطء، ثم أطعم زوجها قلبها قبل أن يخنقه بباقات الورد الجافة التي كان يبيعونها.

الفصل الرابع

الكنيسة الملعونة

في قرية نائية، وجد كنيسة صغيرة. هناك قابل آيا تلك الفتاة التي تشبه نور لدرجة مخيفة. تظاهر بالتوبة، حتى أقنع الراهب بزواجهما.

لكن في ليلة زفافهما، بينما كانت آيا تخلع ثوبها الأبيض، رأت السكين تحت وسادته. نظرت إليه وقالت:
"أتعرف؟ حلمت بأنك ستقتلني."

ابتسم تيم لأول مرة منذ سنوات، وأمسك شعرها الأسود:
"ليس قتلًا... بل تحريرًا من هذا العالم القذر."

طعنها ثلاثة وثلاثين طعنة - بعدد السنوات التي عاشها الرب على الأرض حسب الأسطورة. عندما عاد الراهب، وجد جسدها مقطوع الرأس على المذبح، وكلمات مكتوبة بدمها على الجدار:

"أنا الباب الذي لا يُغلق،
والجرس الذي يدق في الفراغ،
ابحثوا عني في مراياكم عندما يحل الظلام

النهاية المفتوحة
تيم اختفى في الضباب. تقول الأساطير:
- إنه يسكن الآن في المرايا القديمة.
- إنه يتنكر كبائع زهور متجول.
- إنك إن سمعت صوت أنين امرأة ليلاً، فهذا يعني أنه يقتل نسخة أخرى من نورا في مكان ما.

الشر المطلق لا يموت... إنه فقط ينتظرك أن تلتفت خلفك في اللحظة الخطأ.

"فهل أنت مستعد لمقابلته؟"